

صلة الرحم

الحمد لله الذي إذا رضي عن قوم جعل لهم التقوى لباساً، والذكرى لأبناء المتاب أساساً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي هدانا إلى الفوز العظيم ابتغاء لرحمته والتماساً، والرضى عن آله الذين اختارهم له ناساً، وجعلهم مصابيح من بعده اقتداءً واقتباساً.

ثم أما بعد: عباد الله: أمر الله الأمم السابقة بالرحم خيراً فأمر بني إسرائيل، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾.

وأمر الله بصلة الرحم لهذه الأمة في مواضع من كتابه فقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾.

وافتح سورة النساء بالأرحام، ولماذا سورة النساء بالذات؛ لأن النساء أصل الأرحام فما أعظم الأرحام سواء رجالاً أو نساء ولكن النساء أهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

وجعل البر بهم من أعظم البر وأحسنه، فقال: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالتَّيِّبِينَ وَعَاتَى الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿١٠﴾.

وجعل الله أفضل الإنفاق ما كان للأرحام: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ
قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ ۗ﴾.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار
بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة
المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء
فيها طيب. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى
تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال: يا رسول الله! إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى
تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو
برها وذرورها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما
قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين قال أبو طلحة: أفعل يا رسول
الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه». متفق عليه.

بل أمر الله تعالى الصديق أبابكر رضي الله عنه برحمه خيراً فقال تعالى:
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ﴾.

وجعلها الله أفضل عبادات أصحاب العقول: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَوْلًا
الْأَلْبَبِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ﴾.

عباد الله: وقد أمر النبي ﷺ بصلة الرحم وشدد فيها فقال: «**احْفَظُوا
أَنْسَابَكُمْ، تَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ بِالرَّحِمِ إِذَا قُرِبَتْ، وَإِنْ كَانَتْ
بَعِيدَةً، وَلَا قُرْبَ بِهَا إِذَا بَعُدَتْ، وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً، وَكُلُّ رَحِمٍ آتِيَةٌ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَمَامَ صَاحِبِهَا، تَشْهَدُ لَهُ بِصِلَةِ إِنْ كَانَ وَصَلَهَا، وَعَلَيْهِ بِقَطِيعَةٍ
إِنْ كَانَ قَطَعَهَا**». البخاري في الأدب المفرد.

وقد كانت من أوائل دعوة الرسول ﷺ للبشرية جمعاء وهو بمكة، فعن
عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أول ما بعث وهو بمكة، وهو حينئذٍ مخنف، فقلت: ما أنت؟
قال: «أنا نبي». قلت: وما النبي؟ قال: «رسول الله» قلت: بم
أرسلك؟ قال: «بأن يعبد الله، وتكسر الأوثان، وتوصل الأرحام». ابن
خزيمة في صحيحه.

وهي أول وصية له عند أول كلمة قالها في المدينة بعد هجرته ﷺ:
فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة، انجفل الناس قبله وقيل: قد قدم رسول الله صلى الله عليه

وسلم، قد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت في الناس لأنظر فلما تبينت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». أحمد في المسند.

وقد كانت صلة الرحم من أوائل دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن سأله فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن رجلا قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قالوا: «ماله ماله» قال: «أرب ماله تعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم». متفق عليه.

ومن عظمة صلة الرحم: أنها عند الله معلقة بالعرش فوق كل المخلوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرحم شجنة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق، اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني، فيقول الله تبارك وتعالى: أنا الرحمن الرحيم، وإني شققت للرحم من اسمي. فمن وصلها وصلته، ومن نكثها نكثته». أحمد في المسند.

وهناك في غابر الزمان وبعد خلق أبينا آدم عليه السلام هناك ظهرت عظمة الرحم قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة،

قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت:
بلى يا رب. قال: فذاك لك». متفق عليه.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرؤا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ
تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾.

فصلوا أرحامكم: ولو أدبروا عنكم وقاطعوكم، فعن أبي ذر رضي الله
عنه أنه قال: أوصاني خليلي أن لا تأخذني في الله لومة لائم، وأوصاني
بصلة الرحم وإن أدبرت. الطبراني في المعجم الصغير

عباد الله: ونجاح المجتمع واستقراره وانتشار الخير فيه بصلة الأرحام، فإذا
أردنا أن نحافظ على الرخاء والنعمة والأمن والاطمئنان، فعلينا بصلة
الأرحام رجالا ونساء، قال صلى الله عليه وسلم: «صلة الرحم وحسن
الجوار، أو حسن الخلق يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار». أحمد في
المسند.

وثمره الصلة يعجلها الله في الدنيا وعقوبة القطيعة يعجلها الله له في
الدنيا، قال صلى الله عليه وسلم: «ليس شيء أطيع لله فيه أعجل ثوابا
من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عقابا من البغي وقطيعة الرحم؛
واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع...».

وصلة الرحم من أعظم الإيمان قال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه». مسلم.

بل من أفضل الطاعات: فعن رجل من خثعم أنه قال: أتيت النبي

صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه، فقلت: أنت الذي تزعم

أنك رسول الله؟ قال: «نعم». قال: قلت: يا رسول الله! أي الأعمال

أحب إلى الله؟ قال: «الإيمان بالله». قال: قلت: يا رسول الله! ثم مه؟

قال: «ثم صلة الرحم». قال: قلت: يا رسول الله! ثم مه؟ قال: «ثم

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». قال: قلت: يا رسول الله! أي

الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: «الإشراك بالله». قال: قلت: يا رسول

الله! ثم مه؟ قال: «ثم قطيعة الرحم». قال قلت: يا رسول الله! ثم مه؟

قال: «ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف». أبو يعلي في مسنده.

وهي من أعظم الأخلاق: فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال:

لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدرته، فأخذت بيده وبدرني

فأخذ بيدي فقال: «يا عقبة! ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا

والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

ألا ومن أراد أن يمد في عمره، ويبسط في رزقه، فليصل ذا رحمه».

الحاكم في المستدرک.

قال علي بن أبي طالب: «لأن أصل أخا من إخواني بدرهم أحب إلي من أن أتصدق بعشرين درهما، ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة».

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصل أرحامه في الجاهلية، فعندما جاءه جبريل في الغار دخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق وقال عمرو بن دينار رحمه الله تعالى: «تعلمون أنه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجرا من خطوة إلى ذي الرحم». متفق عليه.

الخطبة الثانية

الحمد لله الرحيم الرحمن، يحب الواصلين لأرحامهم، وأوجب لعنته على قاطعي الأرحام وأصلي وأسلم على نبي الرحمة، الذي جاء بكل أسباب التواصل وحذرنا من كل سبيل للتقاطع. وهذا رمضان على الأبواب فابتدروا أرحامكم وتواصلوا معهم في رمضان وفي يوم العيد وبعدها -

عباد الله: البعض مُصِرٌّ على عدم الزيارة لأسباب غالبها تافهة، وقد قاطعهم من فترة وبعضهم يقول أشغلتنا الدنيا عنكم؟ وأنا أقول له كما ذكرت في الخطبة الأولى أبشر بالتعسير في الدنيا أبشر باللعة التي ذكرها الله في القرآن ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾. لا زلنا نسمع بأن في تلك القرية خلافات بين الأقارب، وأن الهجران يدوم بينهم لمدة عشرين سنة لأجل أمتارٍ من الأرض جرى الخلافُ عليها.

أقاطع أخي وابن عمي وجاري عشرين سنة أو عشر أو خمس سنوات لماذا؟ لأتفه الأسباب لشبر من الأرض أو لخلافات عائلية.

البعض يرى أنه إذا زار رحمه وقربيه فلانا، وقد كان بينهم ما كان أنه إهانة لكرامته ويضخمها الشيطان في رأسه ويكبرها في نفسه فيكابر ويستكبر ويرفض زيارتهم، والبعض لا يقوم بواجب الصلة لا في الكلام ولا في الفعال ولا في بذل المال تجده ثريا وأقاربه محاييج، فلا يقوم بصلتهم؛ بل قد يكونون ممن تجب نفقتهم عليه لعجزهم عن التكسب وقدرته على الإنفاق عليهم فلا ينفق عليهم— إذا لم تستطع أبدا القيام بالزيارة فعندك الاتصال والمواصلة معهم عن طريق الهاتف إن كانوا في

بلد بعيدة اتصل عليهم كلمهم أو راسلهم فهذا أضعف ولكنه أفضل
من العدم.